

مذكرات بحار

- ٣ -

٢٠ أغسطس .

أصبت اليوم بكام شديد أجبرني على ملازمة الفراش نتيجة لعملنا المتواصل داخل البحر وخروجنا منه فجأة إلى ظهر السفينة حيث الرياح الباردة والتيارات القوية دون ماتجفيف لملابسنا الداخلية .

وقد تهمني بالبلادة ، والإهمال في عدم الاهتمام بصحتي وكيف لم أعمل على تجفيف ملابسي أو استبدالها بأخرى يابسة . ولكنك منصفني إذا قلت لك إنه « العمل » نعم . العمل . « العمل » الذي يحتم على عدم التوقف خلاله وإلا نعت بالكسل والتنبلة .

منطق معكوس ونظرية مقلوبة . . أمن يعتني بصحته يعد كسولا ؟ أمن يتقي المرض - والوقاية خير من العلاج - يعد « تنبلا » ؟ ! .

لخير لي وإخواني البحارة أن نوصف بالكسل والتنبلة عن أن نعرض صحتنا للمرض والهلاك . ولكنها الحاجة :

إذا لم يكن إلا الأسته مركباً
فما حيلة المضطر إلا ركوبها

٢٥ أغسطس .

لم أجد بداً من الذهاب صباح اليوم إلى المستوصف الأميري وكم ساء في أني رجعت إلى البيت آخر النهار صفر اليدين لا لأن المستوصف مقفل لعطلة رسمية ولا لأن الطبيب مريض لعله أصابته . لا لهذا ولا ذاك فالمستوصف مفتوح الأبواب والدكتور موجود في دار العيادة بحوطة الحدم والحشم ولا تنفك فناجيل القهوة والشاي تسعى إليه الآونة والأخرى وجهاز التليفون لا يقف ساعة عن الرنين بخائبه فلا يكاد يرفعه حتى ينصرف بكل مشاعره إلى محدثه يهمس له بأحاديث من المؤكد أنها لا تمت إلى عمله بصلة والمرضى خارج العيادة يثنون ويتوجعون ، ملقون

على تلك الكراسي الخشبية الصلبة أو على الدكك الأسمنية الموجعة يترقبون بفارغ الصبر دورهم إن صح أن يسمى ذلك دوراً . ومنظرهم يفتت الأكباد ويدعو إلى الرثاء لهم والعطف عليهم فهذا رجل في العقد السابع من عمره جاء متكسراً على ابنه من أقصى المدينة عله يجد الدواء الناجع في هذا المبنى بيد أنه وجد ما زاد حالته سوءاً على سوء . قال ابنه والالم قد استحوذ على جميع مشاعره (لقد تركنا أعمالنا وجئنا بأيدينا والأمل يحدونا في أن نحصل على الدواء لنستأصل الداء ولكن ها أنت ترى خيبة الأمل التي أصابتنا فجعلتنا لا نؤمن بالمستوصفات ولا بالمستشفيات) .

وهذا شاب في الركن الآخر من المستوصف يتلوى من ألم مفاجيء ألم به فسارع ليستنجد بالطبيب وأين منه الطبيب ؟ أنه في واد والطبيب في واد آخر .

والذي زاد الطين بلة بجيء أناس متأخرين عنا أدخلوا إلى الطبيب حال وصولهم . وتريد أن تحتج وتطالب بحقوقك وحقوق هؤلاء المساكين فلا تجد آذاناً صاغية فتسأل الخادم المختص فيرد عليك بوقاحة متناهية : هذا فلان بن التاجر فلان وذلك مستخدم علان وهذا ابن الوجيه زيد وهذا . . . وذاك . . .

يا الله أحتي بيوت الرحمة والانسانية لا تخلو من هذه العادة البغيضة وأعني بها المحسوبة والمحابة . الذي أعلمه ويعلمه جميع الناس أن هذه المستشفيات وتلك المستوصفات الحكومية قد وضعت لمعالجة ذوي الفاقة من الشعب والمعدمين الذين لا يستطيعون استدعاء طبيب إلى بيوتهم الخاصة أو الذهاب إلى عيادته .

وليس بمستغرب أيضاً أن نرى الدكتور يترك العيادة ليمتطي تلك السيارة الفخمة التي تنتظره أمام الباب فيسطلق بها يسابق الريح . . إلى عيادة خارجية ! .

لقد طلبه أحد الأعيان لزيارة مستعجلة فلم يجد بداً من الرضوخ . . .